

في التنظيم الثوري السري

ووطنية ساعدت على ذلك، أما القاعدة الثانية فهي ضيق أفق وشراسة طباع وبساطة تفكير بعض مسؤوليهم الذين ظنوا أن الشفرة والمسمار والأداة الحادة والتهديد بالأغلبية كافية لتطويع الأقلية...

وفي الذاكرة أنهم قاطعوا رفاقنا بضعة شهور في سجن السبع، طبعاً كانت تدور أحداث خاطفة وسلامات مستورة في القاعدة، إلى أن تمت تسوية الموقف... لقد كانت أعمار قيادات السجون في العشرينات والثلاثينات، وهذا عامل له اسقاطات من الفجاجة والشراسة عليهم وعلينا.

طبعاً لسنا ملائكة، فنحن من نفس التربة الطبقية والوعي الاجتماعي، ولكننا أكثر إدراكاً لمعنى التعددية وتسوية التناقضات سلمياً، ونعرف أن العنف يستخدم فقط في التناقض التناحري بينما كان القانون الذي صاغه الحكيم في العلاقات الوطنية هو (وحدة وتناقض) والتناقص لا يحل بالعنف. كما أننا نقبل على الثقافة وقرءاء الفلسفة والاقتصاد والتجارب الثورية بما نقلنا إلى مستويات فكرية أعلى من سوانا سيما على صعيد الكادرات... علماً أن تربة فتح مناضلة وشجاعة وتسبقنا على صعيد الكفاح المسلح، ولكن ثقافتها محدودة فيما عدا أفراد درسوا هنا وهناك، ولم يتعبؤوا بالصمود في الزنازين حيث يعتقلون أسراباً وجماعات، وبعض هؤلاء من أقاربنا وجيراننا أي يمكن تصليبهم وتجنبيهم ذل الانكسار في الزنازين بما ينتج عنه من أحكام عالية... وفيما لو طلبوا منا خبرتنا الأمنية لن نتردد في تزويدهم بها... بل إنهم طلبوا مرة العناية بمطاردين منهم ولم نتأخر.

ليكن جلياً، من منطلق وطني صرف وليس أخلاقياً فقط، أن أي ضعف في أي فصيل وطني هو ضعف لنا وأن أي قوة لأي فصيل وطني هو قوة لنا. إننا طلاب نضال في سبيل الوطن والشعب ولسنا طلاب نزاع وتعالٍ على الآخرين...

أي تناقض مع فتح أو سواها إنما هو حق مشروع، ضمن حرية الاختيار والاستقلال السياسي والفكري، ولكن أيضاً يجب أن يساعد على تطويرنا وتطوير فتح والآخرين. فهذا هو المنطق الديالكتيكي. وفي كثير من الأحيان كانت علاقتنا تحالفية وجيدة مع فتح والآخرين، وإننا نحرص على ذلك، فالجبهة الوطنية قانون أساسي وشرط من شروط الانتصار، ولكنها جبهة قائمة على «برنامج سياسي وطني وقيادة جماعية» كما صرح الحكيم غير مرة...

وهنا نواجه معضلة حقيقية... فعرفات فردي يذكي فرديته أن فتح أقوى منا، علاوة على صلاحيته التي تشمل فيما تشمل القرار المالي بل الصندوق القومي، وندرة الأصوات التي تعارضه داخل فتح إذا استثنينا أبو جهاد وصلاح خلف أحياناً ومن قبل الشهيد أبو علي إياد الذي سقط ببسالة في أحراش جرش وعجلون، ناهيك عن أن بعض القوى اليسارية الفلسطينية هي أقرب سياسياً لخط عرفات، بل منذ البدايات مول عرفات «انشقاق الديموقراطية» طبعاً ليس مقصدنا نكأ جراح قديمة (دملها الزمن)، لكن رفاقنا في الديموقراطية يقفون بين كرسيين: كرسي الشعبية وكرسي فتح، ولو كان موقعهم يشكل طريق خلاص حينها يمكن النظر فيه، أما أن يجبر لخدمة وتقوية نهج القيادة اليمينية، فحينها للحديث معنى آخر.